المنهج التيسيري لدى الشلوبين في كتابه التوطئة

علي علوش
المركز الجامعي تيسمسيلت
الجزائر
allouche77@yahoo.com

تاريخ الإرسال:19-02-2019 تاريخ القبول:22-05-2019 تاريخ النشر:02-06-2019

الملخص:

احتاج أهل الأندلس إلى تعلّم اللغة العربية بعد دخولهم في الإسلام، وأصبحوا يبحثون عن من يعلّمهم قواعد اللغة العربية، فهاجر الطلاب إلى المشرق لطلب ذلك العلم، وعادوا إلى بلادهم يحملونه باختلافاته المعروفة في المشرق، فلما دخل كتاب سيبويه عكف عليه الأندلسيون دراسة وحفظا، فتولوا تدريسه وشرحه، ولكنّ النحاة أثناء التعليم شعروا بصعوبة هذه القواعد، وبهذا التطويل والتعقيد، وتأثروا بفكرة الكتب المختصرة في المشرق، فبدأوا يؤلفون على منوالهم، وتتابعت الكتب النحوية المختصرة التي كانت تهدف إلى تيسير وتبسيط النحو على المتعلمين، ولكنها لم تنل الشهرة، حتى جاء كتاب الشلوبين (التوطئة) والذي نستشف منهجيته من خلال عنوانه الدال على تيسير النحو وتبسيطه.

فما هي المنهجية المتّبعة لدى الشلوبين في كتابه التوطئة من أجل تيسير النحو وتبسيطه؟

الكلمات المفتاحية: الشلوبين ، تيسير النحو، المنهجية، التوطئة

Abstract :

People of Al Andalus needed to learn Arabic when they first knew islam, and they started searching to learn the basics , so the yimmigrated to orient seeking knowledge , then they return back with that aquired background in diversed sources from the orient , they started with sibawih book , then they tried to learnit by putting it understudy and analyse , but gramarians during their education felt the difficulty of these basis ,and their engthand complication , which made them use

short books with quick abstracts for beginners and learners, but these books never see the day light until the arrival of (tawtia , the preface) of chaloubine , which tried to simplify grammar , and making it easier , sowhats the methodology of chaloubine in his research trying to simplify grammar ?

Keywords : chaloubine , simplifygrammar, methodology,tawtia .

مفهوم التيسير:

فاليسر لغة: أصلان يدلّ أحدهما على انفتاح الشيء وخفّته، والآخر على عضو من الأعضاء (وهو اليد اليسرى)، واليُسر المقصود في هذا المقام من الأصل الأول[1]، فاليسر ضد العسر[2]، وهو اللين والانقياد والسهولة، ومنه التيسير. يقال: أيسر: أي صار ذا يسر، وتيسّر الشيء واستيسر.[3]

اصطلاحا:

لم أقف على تعريف مصطلح التيسير لدى المحدثين إلا عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، إذ عرّفه بقوله: " التيسير تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلم"[4].

وقد قال أبو عثمان المازني عن كتاب سيبويه: "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستح[5]، فما فات سيبويه من علم النحو شيء جوهري. والحق أن التغير الذي طرأ على النحو العربي كما قدمه سيبويه ليس تغيرا في الجوهر.

ولذلك من جاء بعد سيبويه من العلماء لم يقدموا للنحو جديدا بل انكبوا على شرح كتاب سيبويه وتوضيح مشكله، وقد أوغل بعض العلماء في تعقيد النحو العربي وأمسك زمام أمر هذا العلم أناس صعُب عليهم أن يضيفوا جديدا إلى قواعده الأصلية ، فعادوا من حيث بدأ أجدادهم لا من حيث وصلوا، كما أخذوا يبحثون في قواعد لغات يمكن أن تؤثر في قواعد اللغة، فأصبح علم النحو صعبا على الكثيرين، لذلك كان لابد من التيسير والتقريب لأذهان المتعلمين.

فقد اتخذ مصطلح التيسير عند الأندلسيين عدة أشكال منها:

1- تخليص النحو ما أقحمه بعض العلماء عليه ما ليس منه، حتى بدا هذا العلم غريبا على أصحابه الحقيقيين من عرب البوادي، فقد روي أن أعرابيا وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخلونه معه، فحار وعجب وأطرق ووسوس! فقال الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا[6].

2- تنظيم الأبواب النحوية وترتيبها، فقد كانت تعاني بعض مصادر النحو ومصنفاته من الاضطراب في تتالي الأبواب، وفي توزيع جزئيات الباب الواحد، فضلا عن الغموض في العناوين، مع غياب الدقة في المصطلحات وصعوبة الاهتداء إلى مسائل النحو، وعدم التطابق بين العنوان وما يندرج تحته.

3- الاختصار والإيجاز غير المخل، لأن معظم كتب النحو كانت تعاني من الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو ومعالجة المسائل الأجنبية التي لا صلة لها بالنحو، فضلا عن الشغف بالمناقشات والجدل والإغراق في تتبع العلل والإكثار من التقسيمات والتفريعات[7] أضف إلى ذلك التعمق في مسائل الخلاف.

4- شرح المؤلفات النحوية، ذلك أن هذه المؤلفات كتبت بلغة جافة يصعب فهمها أو الوقوف على مراميها بسهولة ويسر، لذلك كان لابد من شرح لهذه اللغة التي صيغت بها تلك المؤلفات.

التيسير عند الشلوبين: هو بمعنى الجمع والشمول والاختصار لذلك ألّف كتابه التوطئة رغبة منه في تسهيل علم النحو للمبتدئين لهذا سماه التوطئة بمعنى التمهيد فهو تمهيد للمبتدئين لولوج علم النحو.

عنوان الكتاب:

لقد اختار الشلوبين لمؤلفه هذا اسما يوحي بالتبسيط، وجلب الانتباه، لأن كلمة (توطئة) تدلّ على أن الكتاب ما هو إلا مدخلا، أو تمهيدا لمن يريد أن يدرس علم العربية بالتفصيل، لأن كلمة (وطأ) للشيء تعني: مهّد له، جاء في اللّسان: " التوطئة، وهي التمهيد والتذليل".[8]

ومن المعلوم أن المؤلفين يمهّدون لكتبهم قبل الدخول في الموضوع، ليعرّفوا القارئ على ما يحتويه مؤلفهم، والحقيقة أن اختيار عنوان الكتاب هو فنّ ليس من

السهل أن يتقنه كلّ كاتب، لأنه يؤثر على نفسية القارئ، ويجلبه إلى قراءة هذا العمل، ويترك في نفسه ارتياحا ويسهّل عنه تناول هذا المؤلف وتفحّصه، ويحفّزه على حبّ التعرف على ما يحويه، وهذا ما قصده أبو علي من تسمية مؤلفه، لأنه يهدف إلى ترغيب الناشئة في علم النحو، بعدما رأى عزوف المتعلمين عنه، ويدخل هذا ضمن التيسير.

حجم الكتاب:

قدمت أبواب النحو المختلفة في حجم صغير لا يتعدى ثلاثين ومائتين (230) صفحة: بطريقة سهلة موجزة، وهذا الحجم الصغير من شأنه أن يفرح طالب علم النحو، لأنه يرى فيه مادة سهلة التناول والحفظ، على عكس الكتب الكبيرة التي تخيف المتعلم، وتسدّ شهيته.

أبواب الكتاب ومحتواه:

يقع كتاب التوطئة في حوالي ثلاثين ومائتين صفحة (230) مسبوقا بمقدمة ودراسة للمحقق، جمع فيه صاحبه معظم أبواب النحو المختلفة، فقد بدأه بباب الكلام وما يتألف منه، وثناه بباب المعرب والمبني، وعلامات الإعراب، وتتابعت الأبواب النحوية، والصرفية المذكورة في الفصل الأول بعنوان: مادة كتاب التوطئة، وخُتم الكتاب بالحديث عن الإدغام، فجاء كتاب التوطئة جامعا شاملا مختصرا، يظهر رغبة مؤ لفه في التسهيل، ويمكن رؤية مظاهر التيسير من خلال الدراسة الآتية:

1- طريقة الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر والأمثال:

لقد وظّف أبو علي الشلوبين أنواع الشواهد المعروفة، حيث استشهد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار والأمثال العربية، ولكنه تعامل مع الشاهد بنوع من الحكمة، حتى لا يكون سببا في تعقيد النحو مثلما حدث في بعض كتب النحو التي احتاج الشاهد فيها إلى الشرح، فجاء استشهاد في خدمة الهدف الذي يرغب فيه، وسنوضح هذا في النقاط الآتية:

أ- الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته:

يعدّ القرآن الكريم مصدرا من أهم المصادر التي اعتمد عليها النحاة في وضع قواعد النحو العربي، ونتيجة لتعدد القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذ، وجد النحاة فيها أرضية سانحة لإظهار خلافاتهم في المسائل النحوية، خاصة بين البصريين والكوفيين، فقد استغلّ نحاة الكوفة القراءات الشاذة، وبنوا عليها أحكاما نحوية، قابلهم فيها نحاة البصرة بالرفض، وذلك بتأويل القراءات [9]. أما نحاة الأندلس فقد اهتموا بالقرآن الكريم "فلم يؤثر عن أحد نحاة الأندلس أنه ردّ إحدى القراءات القرآنية الشاذة، أو توقف عن الأخذ بها، أو اعتبارها حجّة يستند عليها في تأصيل قواعد نحوها وصرفها وأصواتها، وقد استشهد عدد كبير من نحاة القرن السابع في الأندلس بالقراءات الشاذة"[10]. وأبو علي الشلوبين أحد هؤلاء النحاة الذين استشهدوا بالقرآن الكريم وقراءاته سالكا طريق أستاذه السهيلي الذي " استشهد بالقراءات الثابتة سواء أكانت من التواتر أم الشاذ"[11]، فأورد في كتابه التوطئة قرابة تسعين (90) شاهدا قرآنيا، وقد وظّفها لتخدم الهدف المنشود الذي هو التسهيل والتبسيط؛ إذ جعلها تأصّل القاعدة المطلوبة ، ومن الأمثلة التي نجد فيها أن الشلوبين قد استعمل الشواهد القرآنية سبيلا إلى التيسير والتخفيف، والابتعاد على التخريج،ومن ذلك الأمثلة الآتية:

1- رفض أبو علي أن تكون (في) في قوله تعالى: **(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)** [طه: 71]، بمعنى (على)، وردّ الرأي القائل بذلك دون الإشارة إليه فقال: " والصواب أن (في) على بابها، لأن جذوع النخل مكان للمصلوب"[12]، وكذلك (إلى) في الآية الكريمة: **(مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ)** [الصف:14]، التي قال عنها أكثر النحاة بأنها بمعنى (مع)[13]، فرفض الشلوبين أن تخرج عن أصلها، وقال: "والصواب: أن (إلى) على بابها، والمعنى، من أنصاري مضيفين أنفسهم في نصرى إلى الله، ثم حذف هذا المقدّر لدلالة (إلى) عليه" [14]. كما لم يذكر الرأي القائل بهاء السكت في الآية الكريمة: **(فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)** [الأنعام: 90]، وأعربها مفعولا مطلقا [15]، وهذا على سبيل التخفيف لأن أغلب النحاة يقولون بأنها هاء السكت لا محلّ لها من الإعراب. والأمثلة التي تؤكد على أن الشلوبين رفض أن يكون الشاهد القرآني مصدرا للتعقيد والخلاف بيّن وفي باب نعم وبئس استشهد

بجزء آية، فقال: " وما يُفسَّر به المضمر فيهما (ما) النكرة غير الموصوفة، نحو : (**فَنِعِمَّا هِيَ**) [البقرة: 271]، أي نعم شيئا هي".[16]

2- عدم ذكر آراء العلماء في الآية موطن الشاهد:

ابعد أبو علي الشلوبين أراء النحاة في الآيات القرآنية التي استشهد بها في (التوطئة)، في حين نجده يخالف هذا المبدأ في كتب أخرى، نذكر لهذا العنصر مثلا، فقد اكتفى بالشاهد فقال: "ومن هذا: **(فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)**[غافر: 37]، ، في من نصب، ولا يحتاج أن يشرب (لعلّ) معنى (ليت)" [17]. في حين ذكر رأي الجزولي في شرح المقدمة الجزولية الكبير، وردّ عليه.[18]

3- البعد عن القراءات الشاذة:

حرص الشلوبين على الإبتعاد عن القراءات القرآنية الشاذة، وأن لا يستشهد إلا بالقراءات المتواترة في كتابه التوطئة، هذا الذي لم يلتزم به في الشرح الكبير، ويدخل هذا دائما في إطار التيسير على المتعلمين المبتدئين، إلا بعض الآيات القليلة التي أشار إليها ولم يذكر بأنها شاذة مثل: (**مَا بَعُوضَةً**) [الأنعام: 90]، التي ذكر رفعها [19]، وهي قراءة الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة وقطرب.[20]

وإذا مثلنا لإبعاده القراءات الشاذة من هذا الكتاب، فإننا نجده في الشرح الكبير يستشهد بالآية الكريمة: (**قل رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ**) [الأنبياء: 112]، على قراءة من ضم الباء" [21]. وكذلك الآية الكريمة: (**إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**) [البقرة: 70] بضم الهاء في (تشابه)، وقال: " وتشابه علينا بالفتح على التذكير، والضم على التأنيث[22]، في حين لم يذكر الآيتين في كتاب التوطئة تجنبا لذكر الخلاف، والتشويش على المبتدئين، وبذلك يكون قد أبعد الاستشهادات القرآنية الشاذة عن تعقيد القواعد النحوية، وجعلها سببا لتسهيل النحو على الناشئة.

ب- الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

اختلف النحاة حول الاستشهاد بالحديث النبوي، فرفض النحاة الأوائل الاستشهاد به، وجوّز المتأخرون الاستشهاد به خاصة نحاة الأندلس، حتى وُصف بأنه إحدى سماتهم الأساسية [23]. والشلوبين واحد من نحاة هذه المدرسة، ولكنه تعامل مع القضية في كتاب التوطئة بعقلية النأي بالنفس، فهو لم يرفض الاستشهاد

بالحديث النبوي، ولكنه لم يكثر منه، حيث لم يستشهد إلا بثلاثة أحاديث فقط، فذكر الحديث الأول أثناء حديثه عن اتصال الضمير، فقال: "ويتصل بأن نحو: أنّك، وأنه، وكان، نحو قوله في الحديث (كن أبا خيثمة فكانه)، وبأخواتها"[24]، والحديث الثاني أورده عندما تكلّم عن المبتدأ والخبر فقال: " نحو قوله (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله)"[25]، والحديث الثالث جاء في معرض حديثه عن المؤنث فقال:أونعته،نحو:(في كلِ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ) [26]

وهذا يدل على أن الشلوبين في كتابه هذا كان يهدف إلى ابتعاد عن الخلافات التي تحدث بين النحويين، وتزيد في تعقيد القواعد النحوية على المبتدئين.

ج- الاستشهاد بالشعر العربي:

إن المتصفّح لكتاب التوطئة يلحظ أن صاحبه قد أكثر من الاستشهاد بالشعر العربي فقد استشهد بثمانية وتسعين (98) بيتا، وعشرة أنصاف أبيات، إذا أخذناه مجردا عن استشهادات النحويين بالشعر، ولكن إذا قورن باستشهاداتهم فإنّ استشهاد الشلوبين لا يكون كثيرا، فلو أخذنا كتاب شرح شذور الذهب لابن هشام لوجدناه يحوي ستين ومائتين (260) بيتا شعريا، وحتى إن سلمنا بكثرة الاستشهادات الشعرية في كتاب التوطئة، فإننا نجدها تصبّ كلّها في الهدف الذي ألف من أجله الكتاب الذي هو التسهيل، إذ لم يضع الرجل تلك الشواهد إلا في إطار التمثيل، إذ نجده لا يذكر الشاهد الشعري إلا بعد أن يضرب عدة أمثلة تركيبية سهلة، مثل قوله: "وتلزم الفاء مع الجملة الاسمية مطلقا سواء كان فيها طلب، نحو: إن قام زيد فالله يغفر له، وإن قام زيد فهل عمرو قائم، أو لم يكن، نحو: إن قام زيد فعمرو قائم، غلا في الضرورة، نحو قوله:

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا * والشَّرُّ بالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلاَنِ** [27] .

وفي مكان آخر يقول: " وتقع الجملة الاسمية والفعلية مشتملة على ضمير يعود على ذي الحال، ونحو: جاء زيد هو ضاحك، وجاء زيد يضحك، وجاء زيد قد ضحك، ويؤكد الارتباط في هذا النحو بالواو، نحو جاء زيد وهو ضاحك، وجاء زيد ضحك، قوله:

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشيمُوا سُيوفَهُمْ * وَلَمْ تَكْثُرِ القَتْلَى بِهَا حَينَ سُلَّتِ** [28]

فهو لم يستشهد بالبيتين إلاّ بعد التمثيل بالكلام البسيط المتداول بين العرب، كما أنه لا يأخذ من البيت إلا ما يحتاج إليه، فتجده يكتفي بالشطر، أو بجزء من الشطر، ولا يرهق القارئ بسرد البيت كاملا مثل استشهاده بـــــــ:

... إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَا * ... ...** (29)

وفي أحيان كثيرة كان يرفض الشاهد الشعري، ويردّه إلى الشذوذ أو الضرورة الشعرية. أما عن الشاذ الذي لا يقاس عليه، قال: "إن كان ظاهرا لم يكن في الأمر العام إلا: بالألف واللام الجنسيتين، أو مضافا إلى ما هما فيه، نحو: نِعْمَ الرّجُلُ زيد، ونعم صاحب القوم عمرو، وقوله:

فَنِعْمَ صاحِبُ قومٍ لاَ سِلاَحَ لَهُمْ * وَصَاحِبُ الرَّكْبِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَا**

يحفظ ولا يقاس عليه" (30)

أما الضرورة الشعرية فقد استعملها كثيرا، مثل استشهاده بها عند حديثه عن (أنّ) الخفيفة، قائلا: " وأما في الضرورة فيجوز ألا يفصل في موضع الإمكان، كقوله:

فَلَمَّا رَأَى أَنْ ثَمَّرَ اللَّهُ مَالَهُ * وَأَثَّلَ مَوجُودًا وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ** (31)

وعندما تكلّم عن العدد وإضافته، قال: "ويضاف إلى: مائة، مائتين، وألف وألفين إلا في الضرورة نحو قوله:

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتين عَامًا * فَقَد ذَهَبَ اللذاذةُ وَالْفَتَاءُ** (32)

وكان يطالب أحيانا بحذف الشذوذ وعدم الأخذ به، كما فعل مع لغة (أكلوني البراغيث)، فقال: " وعلامة التثنية وعلامة الجمع يجوز إثباتها في شذوذ ، نحو قوله:

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخِيـــــــــ * ـــــــلِ أَهْلِي فَكُلُّهُـــــــمُ أَلُـــومُ**

ونحو قوله:

أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا * أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ**

وهي لغة (أكلوني البراغيث) وحذفها أفصح لخروج الضمائر عن أصلها من الاسمية إلى الحرفية"[33]. رغم هذا العدد من الاستشهاد بالشعر إلا أنه قد غُيِّبَ في كثير من صفحات الكتاب وخاصة في بدايته، حيث لم يظهر الشاهد الشعري في الصفحات (من الصفحة 116 إلى 136)، كما نرى غيابه في عدد من أبواب الكتاب مثل: باب العلم، باب التوكيد وباب البدل، وغيرها، وهذا كله من أجل التسهيل والاختصار.

د- الاستشهاد بالأمثال العربية:

لم يستشهد أبو علي في كتابه التوطئة إلا بتسعة أمثال عربية، وهدفه من ذلك دائما الاختصار والتيسير، ولذا لا يأتي بالمثل إلا بعد أن يمثّل للمسألة النحوية بالأمثلة التركيبية كما فعل مع الشاهد القرآني، والشاهد الشعري مثل ما استشهد به عند حديثه عن شروط الابتداء بالنكرة، فقال: " ومنها: العموم لفظا ومعنى، نحو: كل أحد يفعل هذا، وقوله: لتمرة خير من جرادة" [34]

وكان يوضّح المثل إذا وجد فيه صعوبة للمتعلم، مثل قوله: " ومنها: كون الكلام في معنى كلام آخر لا يخلّ بمعناه كون الاسم نكرة فيه، نحو: شرٌّ أهرٌّ ذا ناب، وشيء ما جاء بك إلى مخّة عُرقوب، أي: ما أهرّ ذا ناب إلا شرٌّ، وما جاء بك إلى مخّة عرقوب إلاّ شيءٌ" [35]، وأحيانا يذكر المثل دون أن يعلق عليه، مثل قوله في باب الترخيم: " وإذا وقفت فبالهاء في الأكثر، وقد تفخّم الهاء في مُرَخَّم المؤنث مفتوحة وصلا، نحو: أَطْرِقْ كَرَا "[36]. ولم يكثر من الاستشهاد بالأمثال في التوطئة طلبا للتيسير والتسهيل.

4- ترتيب الموضوعات النحوية:

لقد سلك الشلوبين في ترتيب موضوعات كتابه طريقا يناسب الهدف الذي من أجله وضع الكتاب، الذي هو: التعليم، حيث بدأه بأقسام الكلام وما يتألف منه، وأتبعه بالمعرب والمبني، لأنّ العربية لغة الإعراب، ثم بقية الأبواب النحوية، وقد راعى في ترتيبها التناسق بين المواضيع، فالأبواب المتصلة ببعضها جعلها تتتابع، مثل باب المبتدأ والخبر أتبعه بباب كان وأخواتها، وباب إن وأخواتها أتبعه بباب فتح همزة إن وكسرها، وكذلك فعل مع باب المصادر الثلاثية أتبعه بالمصدر

الميمي، وكأنه منهج الكتب المدرسية اليوم، وما إلى ذلك من أبواب النحو المختلفة.

5- أسلوبه في عرض المادة، ولغة الكتاب:

لقد عرض صاحب التوطئة مادته النحوية بأسلوب واضح سهل، يميل إلى طريقة المعلّم الخبير، وليس ذلك غريبا على من عمل أكثر من خمسين عاما في تعليم العربية، فهو يضع عنوانا واضحا لكلّ باب، ثم يقدّم تعريفا للموضوع إذا كان يحتاج إلى تعريف، ثمّ يدخل إلى الموضوع بكلّ يسر وسهولة مدعما ذلك بالأمثلة التركيبية الواضحة، وأحيانا يستشهد بالشواهد اللغوية المختلفة، بعيدا عن اللغة النحوية الممزوجة بالمنطق، وهكذا جاءت لغة الكتاب سهلة لا تحتاج إلى شرح كثير أو توضيح، ومن أراد أن يتأكد فعليه أن يعود إلى الكتاب ويطالعه.

6- الإكثار من الأمثلة التركيبية الواضحة السهلة:

إن القارئ لكتاب التوطئة يلفت انتباهه كثرة الأمثلة البسيطة الواضحة، وكأنه يطالع كتابا مدرسيا اليوم، وهذا التمثيل من أجل ترسيخ القواعد النحوية لدى المتعلمين، وهذه الأمثلة تتصدر عادة الاستشهادات اللغوية كالآيات القرآنية والشعر العربي، ويمكننا أن نوضّح هذا بالمثال الآتي فعندما حدّث عن عودة الضمير على اسم، قال: "إذا ذُكر اسم وذُكر بعده فعل، أو اسم يعمل عمله، تناول ضميره، أو الملابس لضميره، مرفوعا كان تناوله بواسطة أو بغير واسطة، وجب الرفع بالابتداء في الاسم الأول، نحو: زيدٌ قام، وزيدٌ كُفي به أبُوه، وزيدٌ كُفي بأبيه، وكذلك: زيدٌ ضُرب، وزيدٌ ذُهب به، وزيدٌ ضُرب أخوه، وزيدٌ ذُهب بأبيه".[37]

7- الاختصار غير المخل، والابتعاد عن الحشو:

الإيجاز من أهم المظاهر التي تدل على تيسير الكتاب: فقد جاء التوطئة موجزا غير مخلّ بالقواعد النحوية؛ إذ ذُكرت فيه جلّ المواضيع النحوية التي يحتاجها المتعلّم المبتدئ، وقد ظهرت هذه السمة في الكتاب بعدة قضايا نذكرها في النقاط الآتية:

نجد أن أبواب النحو المختلفة عرضت في حجم صغير كما ذكرنا بطريقة سهلة موجزة، وهذا من شأنه أن يفرح طالب علم النحو، لأنه يرى فيه مادة سهلة التناول والحفظ، على عكس الكتب المطولات التي تعيق المتعلم، وتسدّ شهيته.

8- البعد عن التأويل المتكلف:

ابتعد صاحب التوطئة عن التأويل المتكلف في كتابه، وتعامل مع الشواهد القرآنية والشعرية بعقلية الظاهرية دون الخوض في تأويلات النحاة من ذلك رفضه تأويل البصريين لنصب كلمة (فأطلع) الواردة في الآيتين الكريمتين: (**لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا، وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ، وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37)**) [غافر:36-37]، وقال: "في من نصب، ولا يحتاج أن يشرب (لعلّ) معنى (ليت)"[38]. وهذا دائما من أجل أن يسهل النحو عن المتعلمين.

9- استخدام أسلوب الحوار:

إن الهدف من وضع كتاب التوطئة هو التعليم والتسهيل، فإن صاحبه كان مطالبا بأن يستعمل أسلوبا، يشد المتعلمين إلى مادة الكتاب، بعدما نفروا منها بسبب الكتب التي عقّدت النحو بالمنطق، وكثرة التعليلات والتطويل، فاختار أن يعتمد على أسلوب الحوار، وكأنه تعليم من دون معلّم، فهو في صفحات كثيرة من الكتاب يتخيّل من يسأله، وهو يجيب، أو يوجه الكلام إلى من هو أمامه، فاستخدامه لمصطلحات الحوار يدلّ على ذلك، مثل: (ألا ترى) في: " نحو: يقوم زيد إن قام عمرو، ألا ترى أن العرب إنما تقول: أنت ظالم إن فعلت، ولا تقول: إن تفعل". و(تقول) موجها الخطاب ، مثل: " أكلتها ، ثم قلت: إيّاه أكلت، وقولك: ثلث الخبزة أكلتها، ممتنع لعدم العائد على المبتدأ"[39].

الخاتمة:

وهم بعض العلماء في البحث عن أسلوب تيسير النحو، وظنوا أن تأليف المختصرات التي اختصرت بعض أبواب النحو وحذف بعض أبوابه هو أسلوب التيسير ،كما فعل علماء الأندلس عامة والشلوبين خاصة في كتابه التوطئة الذي يدل من خلال عنوانه على التيسير والتبسيط لأنه أُلِّف للناشئة، ولكن الحقيقة،

التيسير ليس اختصارا ولا حذفا للشروح وللتعليقات بل هو عرض جديد للموضوعات النحوية يمكن للناشئة من استيعاب النحو مع إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي وتخليصه مما علق به من شوائب فلسفية ومنطقية.

الهوامش:

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت، د.م)، ج6/ص155، 156 بتصرف.
2- ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1417هـ، 1996م، ج1/ص307.
3- ابن منظور، لسان العرب، جمعه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط3، 1419هـ 1999م، باب الياء،ج15،ص445.
4- عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، العدد الرابع، 1974/1973، ص 22.
5- ابن النديم، أبو الفرج، الفهرست، القاهرة، 1979م، ص 83.
6- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد العباس، الإمتاع والمؤانسة القاهرة،، مطبعة لجنة التأليف، 139/2.
7- مبروك عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي، 27.
8- لسان العرب لابن منظور، مادة (و-ط-أ)،باب الواو،ج15،ص333.
9- ينظر: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية لسالم مكرم، مؤسسة الصباح الكويت، ط2، سنة 1978م، ص 57-63.
10- خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن الهجري السابع الهجري، ص 150.
11- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب لمحمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1429ه/2008م، ص 244.
12- التوطئة ، لأبي علي الشلوبيني ، دراسة وتحقيق الدكتور يوسف أحمد المطوع ،ص 245.
13- ينظر: ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي، ج3، ص 1730-1731.
14- التوطئة للشلوبين، ص 244.

15- ينظر التوطئة للشلوبين، ص 186.
16- التوطئة للشلوبين، ص 274
17- التوطئة للشلوبين، ص 141.
18- ينظر: شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، ج2، ص 466-467.
19- ينظر: شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، ج2، ص 608.
20- ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج1، ص 267.
21- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، ج2، ص845. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ، تحقيق علي الجندي وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، إحياء التراث قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة أنم القرى الطائف السعودية، ط2، 1406ه، ج2، ص 69.
22- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، ج3، ص 937.
23- ينظر: خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري لعبد القادر الهيتي، ص 157.
24- الإمام مسلم: صحيح مسلم ،تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي،دار طيبة للنشر والتوزيع 1426هـ،جميع الحقوق الطبع محفوظة،ط1 1427هـ/2006م ،كتاب التوبة،باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم الحديث 2769 ،مج2،ص1270 حيث ورد في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه، أن رسول الله صل الله عليه وسلم (رأى رجلا مبيَضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.)،.
25- الإمام مالك : موطأ مالك،صححه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، 1406هـ/1985م، كتاب الحج، باب جامع الحج ،ج1،ص422،423 ج1،، والحديث عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

26- الإمام مسلم: صحيح مسلم،كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث2244 ، مج2، ص1068، الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله قال :(بينما رجل يمشي بطريق .....،قالوا يا رسول الله ،وإنّ لنا في هذه البهائم لأجرا ؟فقال :"في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجر").

27- عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، والبيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، ج 2، ص364 ،365.

28- الأنباري:الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين ، والكوفيين، ومعه كتاب :الانتصاف من الإنصاف لمحمد محي الدين عبد الحميد،ط1380،4هـ/1961م، حقوق الطبع محفوظة، مطبعة السعادة، ج2،ص667والبيت نسب للفرزدق، ولم يرد في ديوان الفرزدق.

29- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط1418،4هـ/1997م، ج1، ص 413، والبيت لعبد يغوث بن وقاص وهو كاملا:

فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ *** نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانْ أَنْ لاَ تَلاَقَيَا

30- عبد القادر بن عمر البغدادي : حزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،والبيت لكثير بن عبد الله النهشلي،ج9، ص 415-418.

31- التوطئة للشلوبين، ص 235، والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص 63.

32- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب والبيت للربيع بن ضبع الفزاري، ج7، 379-380.

33- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، والبيت الأول لأمية بن أبي الصلت ، والبيت الثاني لعمر بن ملقط الطائي،مج 2،ج9، ص 21.

34- الإمام مالك: موطأ مالك، والمثل لعمر بن الخطاب" لتمرة خير من جرادة "باب فدية من أصاب شيئا من الجراد وهو محرم ج1،ص 416.

35- مجمع الأمثال :لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مؤسسة الطبع والنشر للأستانة الرضوية المقدسة ،1399هـ، ج1، ص 384، والمثل الثاني، ج1، ص 446، برواية مغايرة مفادها : شرٌّ ما يجيئك إلى مخَّة عُرقوب.

36- المصدر نفسه،ج1، ص 446، والمثل كاملا: (أطرِق كرا يُحْلَبْ لك) يضرب للأحمق تمنيه الباطل فيصدق.
37- التوطئة للشلوبين، ص 221.
38- نفسه، ص 154.
39- نفسه، ص 157.